جامعة السلطان قابوس
مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية

Sultan Qaboos University
Journal of Arts & Social Sciences

صورة سلطنة عُمان في الصحافة الجزائرية المعاصرة

محمد أحمد جهلان

أستاذ مساعد (أ)
قسم اللغة والأدب العربي
كلية الآداب ـ جامعة غرداية ـ الجزائر
djehlanem@gmail.ocm

إشراف
محمد ناصر بوحجام
المؤسسة الجامعية: جامعة باتنة ٠١ - الجزائرالجزائر

تاريخ الاستلام: ٢٠١٦/١١/٣٠
تاريخ القبول للنشر:٢٠١٧/١٠/١٠

المجلد (٩) العدد (٢)، أغسطس ٢٠١٨

صورة سلطنة عُمان في الصحافة الجزائرية المعاصرة

محمد أحمد جهلان

الملخص:

حاولت هذه الدراسة الغوص في أرشيف متعلق بسلطنة عُمان في الصحافة الجزائرية المعاصرة (من أواسط الثمانينيات إلى اليوم)، وتهدف إلى البحث عن الحضور العُماني في الصحافة الجزائرية، وأثر هذا الحضور في رسم صورة حول سلطنة عُمان لدى القارئ الجزائري، مما يسهم في توطيد العلاقات الثقافية والفكرية بين شعبي البلدين الشقيقين. بناء على ما تقدَّم؛ فقد حاولنا في هذه الدراسة معالجة الموضوع بعد توطئة منهجية في عناصر ثلاثة: أولاً: جذور الحضور العُماني في الصحافة الجزائرية ومحفِّزاته. ثانياً: حضور سلطنة عُمان في الصحافة الجزائرية الحديثة والمعاصرة: (الشروق، الخبر، السلام...). ثالثاً: خلاصات عن صورة سلطنة عُمان في الصحافة الجزائرية (في حوالي قرن من الزمن). ومن بين النتائج التي توصل إليها البحث من استقراء الكمّ الهائل من المادّة الصحفية الجزائرية التي غطّتها فترة الدراسة، أن مسوغات التواصل العماني الجزائري ضاربة في أعماق التاريخ تعود إلى القرن الثاني الهجري وقد حفزت جهود رواد الصحافة في الجزائر وزنجبار هذا التواصل ووطدته في العصر الحديث. كما خلصت الدراسة إلى أنَّ صورة سلطنة عُمان في هذه الصحافة تجسّد لوحةً فسيفسائيَّة من المميِّزات الثقافيَّة الرفيعة، أوَّلها: تمسُّك العمانيِّ بهويَّته الإسلاميَّة والعربيَّة. ثانيها: استماتتُه من أجل حرِّيته ومقارعتُه للاستعمار عبر التاريخ. ثالثها: التفافُ الشعب العمانيِّ حول قيادته السياسيَّة واعتزازُه بعلمائه. رابعُها: حسُّ المواطنة الراقي وتكريسُ الحقِّ في الاختلاف. خامسها: التركيزُ في النهضة على الإنسان قبل البنيان. وأخيرًا فإنَّ صورة سلطنة عُمان توجز باختصار في عبارة: "هي أصالةُ التاريخ، ونهضة المستقبل، ومثالٌ جديرٌ بالدراسة والاقتداء".

الكلمات المفتاحية: صحافة معاصرة، الجزائر، سلطنة عمان.

The Image of Sultanate of Oman In the Contemporary Algerian Arabic Press

Mohammed Ahmed Djehlane

Abstract:

This study tried to dive in the archives relating to Oman in the Algerian contemporary press,(1986-2016), and its goal is to look for the Oman presence in the Algerian press, and its role in consolidating of Algeria's Oman relations in the past and present. Based on the above, we have attempted in this study to analyze the subject - after a systematic approach- in the following topics: 1. Introduction to the interesting of Algerian journalists about Oman in modern-day. 2. Algerian press and the contemporary cultural scene in Oman. 3. Algerian press and document the views of the Algerian and Omani on topical issues. Among the findings of the research is the extrapolation of the huge amount of Algerian press material covered by the period of study. That the reasons of Omani-Algerian relationship extend in the depths of history, back to the second century AH, and she has stimulated the efforts of the press pioneers in Algeria and Zanzibar this relation and contributed to its consolidation in this modern age. The study also concluded that The image of the Sultanate of Oman in this press embodies a mosaic of high cultural characteristics. The first is: Oman's adherence to its religious and Arab identity. The second is: his struggle for his freedom and his struggle against colonialism throughout history. The third is: the wrapping of the Omani people around their political leadership and their pride in their scientists. The fourth: the sense of citizenship and co-existence and the entrenchment of the right to difference. The fifth: focus in the renaissance on the humans before the structures, and finally, the image of the Sultanate of Oman in short is: "Is the originality of history, the renaissance of the future, and a worthy example to study and follow-up".

Keywords: contemporary press, Algeria, Sultanate of Oman.

إشكالية الدراسة وأسئلتها:

تتأسَّس مشروعية الدراسة على إشكالية جوهريَّة يحاول الباحث معالجتها، وهي متعلقة بمسألة "أثر الصحافة في تشكيل صورة الآخر"، وبتوصيف أدق تسعى إلى البحث عن الصورة النمطيَّة العامَّة التي ترسمها الصحافة المكتوبة في الجزائر عن سلطنة عُمان؛ قيادةً وشعبًا ووطنًا. إنَّ المحفِّز الأكبر لهذه الدراسة نابعٌ في الأساس من محاولة اختراق نسقٍ ثقافيٍّ مغاربيٍّ مُضمر يتصوَّر الإنسانَ المشرقيَّ بعامَّة، والخليجيَّ بخاصَّة، وبصورة نمطيَّة مختزلة، ألطفُ ما يُمكن أن تُوصف به أنَّها صورةٌ غير دقيقة وغير واقعيَّة، ولكننا بالمقابل إذا نظرنا إلى العلاقات الواقعيَّة الفرديَّة بين المشارقة والمغاربة، وإلى التعاطف الشعبي في امتداداته التاريخيَّة، وإذا ركزنا في الخطاب الرسمي، وفي التناول الإعلامي النزيه... فإنَّنا نجد صورةً مخالفة تمامًا وتصوُّرًا حقيقيًّا راقيًا مختلفا عن الصورة "المؤدلجة" التي تصطبغ بشتَّى ألوان الخلافات السياسيَّة والإيديولوجيَّة والمذهبيَّة.. وغيرها.

تطوَّرت هذه الإشكالية (صورة الآخر/ العُماني) في وجدان الباحث بعد رحلاتٍ كثيرة قادته إلى دول الخليج العربي، وإلى سلطنة عُمان بالخصوص (خمس عشرة زيارة للسلطنة في ظرف عشر سنوات)، وبعد احتكاكه بأهلها فترةً ليست بالوجيزة، كلُّ ذلك ولَّد شعورًا بضرورة الحفر في هذا الموضوع، بغرض استجلاء الصورة الحقيقيَّة لعُمان قيادةً وشعبًا ووطنًا في المتخيَّل الجمعي للصحافة الجزائريَّة، وبالتالي في المتخيَّل العام للشعب الجزائري، وإذا كان "الحكمُ على الشيء فرعٌ عن تصوُّره"، فإنَّ "الحكم" عن نظرة الجزائري لسلطنة عُمان يقتضي منا البحث عن "تصوُّر" الجزائري للسلطنة وشعبها وأرضها، وهو ما يسعى البحث لاكتشافه.

من هذا الإشكال الأساس تتفرَّع جملةٌ من الأسئلة التي كوَّنت مباحث الدراسة وجزئياتها، نوجزها فيما يلي:

أ- ما هي مسوِّغات التواصل الجزائري العُماني وما هي جذوره؟

ب- وما هي محفِّزات الاهتمام بعُمان في الصحافة الجزائرية؟

ج- كيف صُوِّرت عُمان في الصحافة الجزائرية المبكرة (خلال العشرينيات والثلاثينات)؟

د- ما الجهود التي بذلها العُمانيون لتكريس صورتهم في المخيال الجزائري إعلاميًّا؟

هـ- وأخيرًا، ومن استقرائنا للصحف الجزائرية المعاصرة، أيُّ صورة يمكن أن نستخلصها لسلطنة عُمان، وما هي مقوماتها؟

أهداف الدراسة وأهمِّيتها:

تهدف هذه الدراسة إلى البحث عن صورة عُمان شعبًا وقيادةً وأرضًا في المخيلة الجزائرية المعاصرة (١٩٧٠م إلى ٢٠١٧م)، وذلك من باستقراء الصحف والمجلَّات العربيَّة الجزائريَّة التي تناولت الموضوع: ثقافيًّا، وسياسيًّا، واجتماعيًّا، وأدبيًّا، وتكمن أهمِّية الدراسة في معالجتها لمسألة العلاقات العربيَّة العربيَّة المعاصرة، بنظرة استقرائيَّة علميَّة قدر الإمكان، تحقِّق روح الأخوَّة والمحبَّة والتواصل بين الشعوب العربيَّة والإسلاميَّة، في وقت يُراد لهذه الشعوب أن تهتمَّ بنقاط الخلاف والتباين والتنافر على قلَّتها وهامشيَّتها، بدل الالتفاف حول مُرتكزات الائتلاف والتقارُب والوفاق على كثرتها وأهميَّتها.

منهج الدراسة وأدواتها الإجرائية:

ولتحقيق أهداف الدراسة، فإنَّ الباحث استغلَّ المادَّة الأرشيفيَّة الكبيرة التي جمعها طيلة أكثر من خمس عشرة سنة في دراسة موضوع العلاقات العُمانية الجزائريَّة، وبالخصوص المادَّة الأدبية المكتوبة في الصحافة الجزائريَّة والعمانيَّة، وكذا الرصيد الهائل من المراسلات والتقارير عن الرحلات والتسجيلات والمقابلات... فكانت الخطوة الأولى في المشروع هي جردُ المادَّة الصحفيَّة في جداول توضيحيَّة حسب العنوان والمؤلف والصحيفة والعدد وتاريخ صدوره وتسجيل ملخَّص موجز عن فحوى المادة التي تنوعت بين الدراسة البحثية، والمقال الصحفي، والقصيدة الشعرية، وغيرها. فتحصَّلنا في "صحيفة المنهاج"على سبيل المثال لأبي إسحاق اطفيش الجزائري على أربعين (٤٠) مادَّة صحفيَّة، وفي صحف أبي اليقظان الجزائري عشرنا على مائة وثلاثين (١٣٠) مادة، وفي "مجلة الحياة" الفكريَّة الجزائرية المحكَّمة أكثر من عشرين (٢٠) مادَّة متعلقة بعُمان أو أسهم بها باحثون وأدباء عمانيُّون. فلقد اعتمد البحث أوَّلا على منهجَي الاستقراء ثم الاستنباط؛ أي استقراء جزئيَّات المادَّة الصحفية عبر مسارها التاريخيِّ الزمنيِّ، وعبر محاورها المضمونيَّة الفكريَّة والثقافية والسياسية والأدبية... ثم الاستنباط لاستنتاج الملامح العامَّة للصورة العمانيَّة، باستنتاج المواقف المتكرِّرة والمشتركة في هذه المادَّة الصحفية. وغنيٌّ عن البيان أنَّ أمثال هذه الدراسات التي تُعنى بصورة الآخر ضمن الدراسات الاجتماعية تتَّخذ من مناهج الوصف والتحليل والمقارنة سندًا أساسيًّا لها، فهي "من أكثر مناهج البحث ملاءمة للواقع الاجتماعي لفهم ظواهره واستخلاص سماته" (قاسم، ١٩٩٩: ٦٠)، بل إنَّنا لجأنا في بعض حالات تصحيح الصورة النمطية والكشف عن زيف الخطاب "المؤدلج" إلى آليات النقد الثقافي لكشف الأنساق الثقافية المُضمرة (الغذامي: النقد الثقافي: ٨١)، تلك الأنساق التي أُريد لها أن تُهيمن على فكر الإنسان العربي لتكرِّس فيه الاختلاف بدل الائتلاف، والفرقة والشقاق بدل الوحدة والوفاق.

مقدمة:

يعدُّ الإعلام عموما والصحافة بصفة خاصة من أهم وسائل التأثير في النفوس وتكوين الرأي العام للأمم والجماعاتفي العصر الحديث، كما أنَّ للإعلام الأثر البالغ في تشكيل المواقف الداخلية والخارجية وبلورة التصورات حول القضايا والمسائل الحسَّاسة، حتَّى عُدَّ الإعلام في عصرنا "سلطة رابعة" بعد السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية.

ولقد أدرك روَّاد الحركات الإصلاحيَّة في العالم العربي ومن بينهم أعلام الجزائر خطورة الإعلام في وقت مبكر، فأسسوا في الجزائر الصحف والمجلات بداية من العقد الأول والثاني من القرن العشرين رغم مضايقات الاستعمار الفرنسي وحالة التخلف العام وتردِّي الأوضاع المعيشية التي كانت تتخبط فيها أغلب المجتمعات العربية

آنذاك، ولقد أدرك هؤلاء أنَّ تغيير الواقع لن يكون إلاَّ بنشر الوعي وإيقاظ الهمم وتثقيف الناس وتنويرهم، فكانت الصحافة المكتوبة هي الوسيلة المتوفرة الأسرع وصولا إلى كافة شرائح المجتمع، والأكثر تأثيرا في العقول، بترسيخ قيم الهويَّة العربية الإسلامية التي ما فتئ المستعمرون يحاولون طمسها وتشويهها، وتركيز أفكار التطور والتحديث والعصرنة والرقي، فهذا أمير الشعراء (أحمد شوقي) يعبِّر عن أهمية الصحافة في قصيدته المشهورة التي ألقاها بمناسبة افتتاح نقابة الصحفيين في مصر: (البحر: المتقارب):

لِكُلِّ زَمانٍ مَضى آيَةٌ وَآيَةُ هَذا الزَمانِ الصُحُفْ
لِسانُ البِلادِ، وَنَبضُ العِبادِ وَكَهفُ الحُقوقِ، وَحَربُ الجَنَفْ

وبنفس الوعي والشعور بخطورة الصحافة وأهميته خاض شيخ الصحافة الجزائرية إبراهيم بن عيسى أبو اليقظان الجزائري جهاده الصحفي في عشرينيات القرن الماضي،وقال قصيدته المشهورة، التي منها: (البحر: الكامل):

إنَّ الصحافةَ للشعوبِ حياةُ والشعبُ من غيرِ اللسانِ مَوَاتُ
فهي اللسانُ المُفصِحُ الذي بِبَيانِهِ تُتَدَارَكُ الغاياتُ
فهي الوسيلةُ للسعادةِ والهَنَا وإلى الفضائلِ والعُلاَ مِرقَاةُ
الشعبُ طفلٌ وهي والدُهُ يَرَى لِحَيَاتِه، مَا لا تَرَاهُ رُعَاةُ
الشعبُ تلميذٌ وهي مُثَقِّفٌ وَمُهذِّبٌ، إذْ تَخْلِصُ النِّيَّاتُ

وهذا الشيخ أبو إسحاق إبراهيم اطفيش الجزائري يعبِّر عن الشعور ذاته بأهمية الصحافة، والدافع الذي حذا به لكي يتجشَّم عناء إنشاء مجلَّة وهو في منفاه بالقاهرة،فقال في افتتاحية أول عدد يصدره من مجلته "المنهاج" سنة ١٩٢٥ ما يلي: "ولقد رأيت الصحافة من أكبر الوسائل إلى نفع الأمم وإرشادها، ونشر الحق ودحض الباطل في أغوار الأرض وأنجادها، وبلغت الصحف بين الأمم الراقية مبلغًا عظيما، حتى كانت رسول السلام، ونذير امتشاق الحسام، ووسيلة التعارف بين الشعوب والحكومات، وأكبر عامل في النهضات العلمية والاقتصادية والسياسية وتجديد القوميات، واللسان الفصيح عمَّا تكنُّه الصدور، والمناضل البارع عن الإنسانية، وذلك متى كانت بيد المخلصين العارفين بالواجب الذي يراعونه حقَّ رعايته، فإنها تأتي بأكبر المنافع وتدرأ أعظم الأخطار وتسير بالأمة في سبيل التقدم المتواصل" (اطفيش، ١٣٤٤هـ: ج١،١).

مما تقدم من اهتمام أعلام الإصلاح في الجزائر بالصحافة وبذلهم النفس والنفيس من أجل إنشاء الصحف وإدارتها وضمان استمرارها رغم رياح الاستعمار العاتية ومعوقاته القاسية، يتبادر إلى الذهن السؤال عن الحضور العُماني في هذه الصحف، كيف بدأ وما هي دوافعه؟ وكيف أدت الصحف الجزائرية المعاصرة دورا مهمًّا في تكوين صورة خاصة بسلطنة عُمان في ذهن القارئ الجزائري؟

أولا: جذور الحضور العُماني في الصحافة الجزائرية ومحفزاته:

إنَّ قيام النهضة الإصلاحية في الجزائر كان مع مطلع القرن العشرين كما أسلفنا، فظهور ثلة من الأعلام العلماء المتنورين، واتصال كثير منهم بالنهضة الثقافية والفكرية التي بدأت تباشيرها تظهر في بلاد المشرق وبالخصوص في مصر، كون وعيا لدى هؤلاء بضرورة التركيز على التربية والتعليم وتثقيف الجيل وتمتين علاقته بعناصر هويته العربية الإسلامية، ونجد من بين هؤلاء العلماء البارزين في الجزائر الشيخ الموسوعي العلامة المحقق قطب الأئمة أمحمد بن يوسف اطفيش اليزجني الجزائري (و:١٢٣٦هـ-١٨٢٠م/ ت:١٣٣٢هـ ١٩١٤م)، فقد كان ملاذًا للطلبة من أغلب أصقاع المغرب، وموئلا في الفتوى والنوازل وفي كافة علوم الدين واللغة العربية، فتخرجت على يده ثلة مباركة من الرجال الذين سيكون لكل واحد منهم دورًا مهما، ليس في تاريخ الجزائر فحسب بل وفي تاريخ الأمة الإسلامية بلا مبالغة.

ومن بين هؤلاء الرجال المتخرجين على يد قطب الأئمة نذكر ثلاثة كانت تربط بينهم علاقة أخوَّة ومحبة وصداقة متينة لم تنفك إلا بوفاتهم، وكان بينهم تأثير وتأثر وتنافس في فعل الخيرات والجهاد في سبيل الله كما كان لكل واحد منهم أثر بارز في عالم الصحافة، ومكانة مرموقة في الحركة الإصلاحية الإسلامية في العالم العربي، وهؤلاء الأصدقاء الثلاثة هم:

- الشيخ سليمان بن عبد الله الباروني النفوسي الليبي (و: ١٢٨٧هـ ١٨٧٠م/ ت: ١٣٥٩هـ ١٩٤٠م).
- والشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد اطفيش اليزجني الميزابي الجزائري (و: ١٣٠٥هـ ١٨٨٦م/ ت: ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م).
- والشيخ إبراهيم بن عيسى حمدي أبو اليقظان القراري الميزابي الجزائري (و: ١٣٠٦هـ ١٨٨٨م/ ت: ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م).

أنشأ الباروني جريدة "الأسد الإسلامي" في القاهرة، فصدر العدد الأول منها يوم ٠٣ رجب ١٣٢٥هـ الموافق ١٢ أوت ١٩٠٧م، إلاَّ أن الجريدة لم تعمِّر سوى ثلاثة أعداد فقط، فقد أرغمته الظروف السياسية القاسية على إيقاف نشرها، وطوحت به الأسفار والتنقلات التي فرضها عليه الاستعمار إلى القطر العُماني فاستقر به بداية من سنة ١٩٢٤م حتى وفاته سنة ١٩٤٠م.

أمَّا أبو إسحاق إبراهيم أطفيش فقد استقر في القاهرة بعد أن نفته الإدارة الاستعمارية الفرنسية من تونس سنة ١٩٢٣ لنشاطه السياسي، وأنشأ بها مجلة المنهاج سنة (١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م) واستمرت في الصدور بشكل منتظم حينا ومتقطع في أحيان كثيرة، فصدر منها سبعة عشر عددا وكان آخرها في سنة (١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م).

أما ثالث الثلاثة، الشيخ إبراهيم أبو اليقظان، فقد أسَّس في الجزائر أولى جرائده "وادي ميزاب"، وكان صدور العدد الأول منها يوم الجمعة ٢٣ ربيع الأنور ١٣٤٥هـ فاتح أكتوبر ١٩٢٦م. واستمرَّ في جهاده الصحفي مدَّة اثنتي عشرة سنة، أصدر فيها ثمان صحف، وكانت الإدارة الاستعمارية الفرنسية توقفها الواحدة تلو الأخرى، وهذه الصحف هي: "وادي ميزاب"، و"ميزاب"، و"المغرب"، و"النور"، و"البستان"، و"النبراس"، و"الأمة" ثم "الفرقان".

وبهذا نفهم سرَّ تعلُّق العلماء الثلاثة (الباروني وأبو إسحاق وأبو اليقظان) بالصحافة، إنها التنشئة الفكرية الواحدة، والظروف السياسية الاستعمارية المتقاربة، والشعور الوطني والقومي الإسلامي الواحد، والهم المشترك، إضافة إلى رابطة الصداقة المتينة

والأخوة الصافية التي تشهد بها عشرات الرسائل المتبادلة بينهم مدة تناهز نصف قرن من الزمن.

يبقى السؤال الذي طرحناه في بداية الدراسة عن سرّ اهتمام هؤلاء الثلاثة بعُمان؟ والجواب أنَّ عوامل ثلاثة على الأقل كانت المحفز على اهتمامهم بأخبار عُمان وتخصيص عشرات المواضيع لهذا القطر العربي الشقيق، ويمكن أن نوجز هذه العوامل في ما يلي:

- العامل الأول: إيواء عُمان للمجاهد الشيخ سليمان باشا الباروني بعد أن ضاقت به السبل من مطاردات الدول الاستعمارية وتنقله بين دول أوروبية وعربية مشرقا ومغربا، وكانت كل تلك الدول إما متوافقة في الاتجاه الاستعماري أو واقعة تحت سيطرة دولة مستعمرة تبسط فيها نفوذها، فكان للباروني في عُمان الملاذ والمحضن والاستقبال البهيج الذي سجل التاريخ تفاصيله ومظاهره، فعُمان بالنسبة للباروني هي حاضنة الأحرار وموئل أنصار الحق والثوار، كما أنها تمثل امتدادًا لأرض الإسلام والعقيدة فهي مهوى فؤاد كل الإباضية بما تضمُّه حواضرها من الأئمة والعلماء والمشايخ، فوافق ذلك رغبة الباروني وهواه، وكأن الشاعر محمد صالح ناصر قد عبَّر عن نفس الشعور بعد حوالي سبعين سنة، فقال في إحدى قصائده (البحر: الكامل):

لو كنتُ فارقتُ الديارَ مهاجرًا ... ما اخترتُ غيرَك للشدائِدِ والمِحَنْ
أو كنتُ في عُمري عشِقتُ سوى الوطنْ ... لاخترتُ من أرض العقيدَةِ لي سَكَنْ
أو كنتُ من زمني خَرجتُ إلى زَمنْ ... لَلَبستُ من "حَبَل الشُّموخِ" لِيَ الكَفَنْ
اللهُ يا أَرضًا هَويتُ تُرَابَهَا ... أَدَبٌ مُصَفًّى كالنَّسيم، سَرَى، فَحَنْ

كان الباروني يراسل صديقيه أبي إسحاق في القاهرة، وأبي اليقظان في الجزائر بكل تفاصيل استقباله في زياراته للمدن العُمانية، وكان أبو إسحاق ينشر كثيرا من تفاصيل هذه المراسلات في شكل مقالات أخبارية في مجلته المنهاج، كما واكب أبو اليقظان مجريات الأحداث في عُمان إثر زيارة الباروني بدءا من الأعداد الأولى من جريدته وادي ميزاب سنة ١٩٢٦، فكان الباروني هو المورد الأول للأخبار والمستجدات وحلقة الربط الأولى التي اتصلت بعُمان، بنشاطها الإعلامي النهضوي ومركزها الاستراتيجي في الأمة العربية، وكان نقطة لقاء المشرق بالمغرب، ونقطة عبور للأخبار والمستجدات إلى صحف أبي اليقظان خاصة بعد تعطل "مجلة المنهاج" سنة ١٩٣٠.

- العامل الثاني: وهو الشعور بالانتماء الدينيِّ العقدي الذي تشبَّع به هؤلاء الأعلام الثلاثة، فالحرص على تتبُّع أخبار عُمان، وعرض تاريخها المشرق، والاستبشار بكل ما يسعد الشعب العُماني ويقوي وحدته ويضمن استقلاله واستقراره، وكان الدافع العقدي الإسلامي فيها هو المحفِّز الأول، فعُمان بالنسبة لهؤلاء الثلاثة تمثل المرجعية العلمية والروحية كما تمثل الإمامة التي وثق عراها الإمام السالمي، مناط الولاء والتبجيل لكل أهل الحق والاستقامة مشرقا ومغربا، فكان هذا الشعور الديني الإيماني القوي حافزا لتوطيد عرى الأخوة الإسلامية والمحبة بين هؤلاء الأعلام،غ وبالتالي بين كلِّ قرَّاء صحفهم في المغرب العربي أو في مصر أو في زنجبار أو في عُمان؛ فهذا أبو اليقظان يعبر عن هذا الشعور في قصيدته الطويلة المشهورة التي حرَّكت المشاعر وهزت العواطف وأيقظت في شعراء عُمان أحاسيس الأخوة والمحبة لإخوانهم في الدين والعقيدة، يقول (البحر: الكامل):

يُهدي مِزابُ تحيَّةً وسلامَا ... متواصلَين مع الأثير دوامَا
ويبثُّ مَعْ رِيحِ الصَّبَا أشواقَهُ ... وولاءَه وحنانَهُ وغَرَامَا
ويمدُّ أسلاكَ المودَّة والصَّفَا ... ليناجيَ الأرواحَ لا الأجسامَا
ويفيضُ من إخلاصِهِ نورًا ... إحساسِه نارًا تُذيبُ الهَامَا
لأخيه شعب عُمان حيث المجدُ ... حيثُ العزُّ، فيه تَرَامَى
حيثُ العدالةُ، والنزاهةُ، ... ضَرَبَت على الأصحابِ فيه خِيَامَا

- العامل الثالث: وهو النشاط الصحفي لأعلام الصحافة العُمانيين في شرق إفريقيا وفي زنجبار بالخصوص،(الكندي، ٢٠٠٩، هوامش الأعلام) فقد كانت رائدة في هذا المجال منذ مطلع القرن العشرين بدءًا بالشيخ الشاعر أبي مسلم البهلاني الرواحي (و:١٢٧٧-١٨٦٠/ ت:١٣٣٩-١٩٢٠م)محرر صحيفة (النجاح)، والشيخ الأمين بن علي المزروعي (و: ١٣٠٨-١٨٩١/ ت: ١٣٦٦-١٩٤٧م) رئيس تحرير صحيفة (الإصلاح)، والشيخ هاشل بن راشد المسكري (و: ١٣١٣-١٨٩٥/ ت:١٣٨٨-١٩٦٨م) أول رئيس تحرير لصحيفة (الفلق)، والشيخ محمد بن ناصر بن سليمان اللَّمكي (و:١٣٢٠-١٩٠٢/ ت:١٤٠٢-١٩٨٢م)، ومحمد بن علي بن خميس البرواني (و:١٢٩٦-١٨٧٨/ ت: ١٣٧٣-١٩٥٣)، وعلي بن محمد الجمالي (و:؟؟/ ت:؟؟؟)، و صالح بن علي بن مسلم الخلاسي (و:؟؟/ ت: ١٣٦٢-١٩٤٣)، وغيرهم ممن كانوا اللسان المعبر عن أحوال العُمانيين، ليس في زنجبار وشرق إفريقيا فحسب، بل وحتى في الوطن الأم عُمان والحواضر العربية الأخرى مثل دمشق والقاهرة وغيرهما، فكان تواصلهم مع "منهاج" أبي إسحاق ومع صحف أبي اليقظان من أهم الروافد التي تستقي منها تلك الصحف مادتها ومقالاتها، كما أننا نعدها اليوم وثائق تاريخية مهمَّة في ما يتعلق بضبط تراجم الأعلام العُمانيين وسيرهم وتاريخهم المشرق في تلك الربوع من القارة الإفريقية أو في عُمان، وكان الشيخ أبو إسحاق كثير التواصل مع أهل عُمان في زنجبار، فقد زارها سنة (١٣٦٦هـ/١٩٤٧م) ومكث بها أربعين يومًا واعظا ومرشدا، وبعد هذه الزيارة بسنتين وثَّق الشيخ أبو إسحاق علاقته بأهل عُمان وزنجبار بميثاق غليظ إذ اقترن سنة ١٩٤٧ في مصر بالسيدة "سعاد بنت سعيد بن سيف المعمريَّة" العُمانيَّة الزنجباريَّة (الشيباني، ٢٠١٥: كله)، فكان ذلك كلُّه تأكيدًا للروابط المتينة التي تربط أعلام الجزائر بعُمان، وصفحة مشرقة من صفحات التواصل الإسلامي بين المغرب والمشرق.

هذه هي أهم العوامل التي فتحت الباب في الصحف الجزائرية للأقلام العُمانية ولأخبار عُمان وزنجبار، فكونت شبكة من الروابط المتينة ووسائل التواصل الفكري والمعرفي بين عُمان والجزائر، وما يزال البلدان يجنيان ثمارها إلى اليوم، فمن هذه الشبكة من العلاقات التي ربطت بين أعلام الصحافة في ذلك العهد المبكر كانت تنتقل الأخبار والتقارير والمقالات والقصائد، رغم تباعد الأقطار وتنائي الديار، ويمكننا أن نجسد شبكة العلاقات هذه في هذا الرسم:

ثانيا: صورة سلطنة عُمان في الصحافة الجزائرية الحديثة والمعاصرة:

عرفت الجزائر تطورًا مطردًا في مجال الصحافة والإعلام، وإن كان عدد الصحف محدودا غداة استقلال الجزائر (سنة ١٩٦٢م) بما تسمح به السياسة الحكومية المركزية الأحادية آنذاك، التي هيمنت بشكل مطلق على الصحافة المكتوبة (عزي، ١٩٩٢: ١٢٢-١٢٨)، فإنَّ الثورة الإعلامية الحقيقية ارتبطت بعصر التعدُّدية السياسية والحزبية والإعلامية مع نهاية عقد الثمانينيات، فقد سمحت الحريات المكفولة في الدستور الجديد سنة ١٩٨٩م للجزائريين بإنشاء الصحف الخاصة، والمتخصصة، والحزبية، وحتى الانتقادية والساخرة؛ فظهر عدد من الصحف باللغتين العربية والفرنسية. ومن بين أشهر الصحف العربية الخاصة نذكر: "الخبر"، و"السلام"، و"النور"، و"الحياة"، و"الجزائر اليوم"، و"بريد الشرق"، و"الشروق اليومي"، و"الشروق العربي"، كما ظهرت الصحافة الحزبية ومن بينها: "المنتقد"، و"النهضة"، و"النبأ"، و"الإرشاد"، و"البلاغ"، و"الفرقان"، والصحف السياسية الساخرة: مثل "الصح آفة"، و"المنشار"، وغيرها كثير باللغتين العربية والفرنسية كما أسلفنا. ولكن هذا الانفجار الإعلامي الحر الذي أفرز حوالي ١٤٠ عنوانا عموميا و خاصًا، أو حزبيا، لم يسبق له مثيل في العالم العربي والإسلامي لم يعمر طويلا، فقد تجلت بوادر انحرافه منذ البداية، فظهرت مشاكل مهنية مرتبطة بارتفاع تكاليف السحب، ومشاكل الطباعة الإشهار والتوزيع، وعدم كفاية دعم الدولة للحق في الإعلام، خاصة فيما يتعلق بالتوزيع للمناطق النائية في القطر، والتمييز المفضوح بين الصحف في التعامل الإعلامي مما يساعد على ارتباط بعض مديري الصحافة الخاصة بالمال ومراكز القرار، فبحث الكثير على سند مالي سياسي (حيدوسي، ١٩٩٧: ١٢٥-١٢٦)، ما جعل كثيرا من هذه الصحف تتوقف عن الصدور بسبب هذه الضغوط والمتغيرات مع تدهور الأوضاع الأمنية في الجزائر في العشرية السوداء (١٩٩٠م-٢٠٠٠م)، وبعد حالة الاستقرار في الألفية الجديدة بقيت في الساحة الجزائرية مجموعة من الصحف ذات الانتشار الوطني الواسع، نذكر أشهرها: "الخبر"، و"الشروق"، و"النهار" حديثة التأسيس.

وبما أنه من المستعصي والمتعذر علميا تقصي الحضور العُماني في عدد يناهز مائة وخمسين صحيفة عرفتها الجزائر في العشرين سنة الماضية، على الأقل في هذه الدراسة المركزة، فإننا سنحاول تتبع هذا الحضور في بعض أشهر الصحف العربية الأكثر انتشارا في الجزائر في عشر سنوات الأخيرة، بغية استخلاص أهم مظاهر الحضور ثم الصورة التي تتشكل لدى القارئ الجزائري عن عُمان في الوسيلة الإعلامية المهمة. ولقد اخترنا لهذه الدراسة أبرز الصحف اليومية الأكثر انتشارا في الجزائر، ومجلة فكرية واحدة مرَّ عليها هذا العام عشرون سنة من تأسيسها.

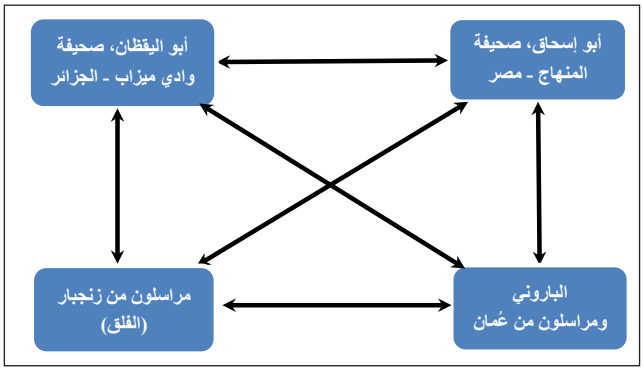

النشاط الثقافي والفني العُماني في الصحف الجزائرية المعاصرة:

احتفت الملاحق الثقافية في أشهر الصحف الجزائرية المعاصرة بالتبادل الثقافي بين الجزائر وسلطنة عُمان، وكانت هذه الصحف منبرا للتعريف بأسماء المبدعين العُمانيين وكذا تقريب الأدب العُماني شعرًا ونثرا للقارئ الجزائري. لقد كان للتظاهرات الفنية والأسابيع الثقافية المقامة في الجزائر أثرا طيبا في هذا المجال، وحرصت الصحف على تغطية هذه المناسبات ومن بينها فعاليات تظاهرة الجزائر عاصمة للثقافة العربية سنة ٢٠٠٧م، إذ أقامت وزارة التراث والثقافة العُمانية الأسبوع الثقافي لسلطنة عُمان في الجزائر (من ٢٧ أفريل إلى ٠٣ ماي ٢٠٠٧) للتعريف بالموروث الثقافي العريق لسلطنة عُمان. وقد تميز حفل افتتاح هذه التظاهرة بحضور وزيرة الثقافة الجزائرية آنذاك السيدة خليدة تومي ووزير الخدمة المدنية العُماني الشيخ هلال بن خالد المعولي، ووكيل وزارة التراث والثقافة العُماني السيد المهندس سلطان الحارثي، وسفير سلطنة عُمان بالجزائر، وعدد من ممثلي السلك الدبلوماسي "ألقى السيد هلال بن خالد المعولي كلمته التي نوه فيها بنوعية العلاقات بين البلدين في مختلف المجالات كما عدَ هذه التظاهرة التي تحتضنها الجزائر باب من أبواب تدعيم التبادلات الثقافية بين مبدعي البلدين، ورأي ضيف الجزائر من جهة أخرى أن الأسبوع الثقافي العُماني هذا سيمكن من التعريف بأصالة الثقافة العمانية وتراثها الشعبي وتاريخه العريق كما يسهم أيضا كما قال في ترسيخ التبادل والتعاون في هذا المجال بين البلدين" (وكالة أنباء شعر، موقع أنترنت:١٥/٠٦/٢٠١٦).

كان الأسبوع الثقافي العُماني في الجزائر فرصة لتذوق المثقفين الجزائريين للشعر العُماني حيث تعرَّف على (الشاعرعلي سيف الرواحي)و(الشاعرة هاجر علي البريكي)، كما تم تدشين المعارض الخاصة بالفن التشكيلي والكتاب ونماذج من الحرف التقليدية المشهورة في عُمان مثل الحلي الفضية والسجاد وبعض الأشغال اليدوية التقليدية، ووسط هذا الديكور العربي المميز.

كما كان الحضور العُماني قويا في الصحافة الجزائرية بمشاركة مبدعيها في "أماسي سيرتا للشعر" ضمن فعاليات "قسنطينة عاصمة للثقافة العربية" سنة ٢٠١٥م، حيث نشرت جريدة الشروق تغطية للأمسية التي شاركت فيها الشاعرة العُمانية المتألقة سعيدة خاطر الفارسية مشاركة تركت صدى طيبا في الحضور حتى طلب منها المبدع والوزير السابق لمين بشيشي إعادة قراءة إحدى قصائدها التي عارضت فيها قصيدة لنزار قباني (الشروق اليومي، ٢٦/١/٢٠١٦).

كما كانت فعالية قسنطينة عاصمة للثقافة العربية فرصة لإعلان

الترشح لجائزة السلطان قابوس الكبرى للثقافة والفنون والأدب العربي، فتم إعلان من قسنطينة بحضور "بدر بن محمد بن راشد العسكري" مدير مكتب الأمين للمركز العالي للعلوم بسلطنة عُمان عن هذه الجائزة، وتم تغطية هذا الحدث من قبل صحيفة الشروق الجزائرية بعنوان: "جائزة السلطان قابوس للثقافة والفنون والأدب العربي تعلن من قسنطينة" (الشروق اليومي، ٢٠١٥/٩/١٣). ولعل هذا الإعلان عن الترشح من الجزائر كان فأل خير لها، فقد نشرت ذات الصحيفة بعد شهرين بالضبط إعلان فوز الخطاط الجزائري "شريفي محمد بن سعيد" بالجائزة في فئة الخط العربي، وهو الذي خط بيده المصحف الشريف المعتمد في الجزائر عدة مرات، فتحدث المقال عن إسهاب الصحف العُمانية في الحديث عن فعاليات الجائزة وعن الخطاط الجزائري، ما كون حلقة جميلة من حلقات التواصل الإعلامي والثقافي بين الجزائر وعُمان (الشروق اليومي، ٢٠١٥/١١/١٣).

الحضور العُماني في الصحف والمجلات الجزائرية في البحوث والمؤتمرات والندوات العلمية:

تأسَّست "مجلة الحياة" الجزائرية سنة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٨م لتكون امتدادا لمجلة معهد الحياة بالقرارة ولاية غرداية الجزائرية التي تأسست سنة ١٩٢٦م، فهذه المجلة تعود جذورها وأصولها إلى ما يناهز القرن من الزمن. وظهورها سنة ١٤١٧ بصورة جديدة، لتكون دورية فكرية سنوية محكَّمة تصدرها (جمعية التراث) وقد أخذت على عاتقها التعريف بالفكر الإسلامي وبتراثه العريق وفتحت صفحاتها لكل الأقلام من داخل الوطن وخارجه، والجدير بالذكر أن هذه المجلة التي بلغت سنتها العشرين هذا العام لم تخل جميع أعدادها من مشاركة الأقلام العُمانية أو بدراسة جزائرية متعلقة بعُمان، وتتنوع هذه المشاركات بين الدراسة العلمية المعمقة، وبين المقالة الأدبية الرائقة، وبين القصيدة الشعرية الصادقة... فحققت بقوَّة أحد أهم مبادئها وهي توثيق عرى التواصل بين المسلمين مشرقا ومغربا بما يخدم الوحدة وينهض بالأمة، والحقيقة أن تتبع الحضور العُماني في هذه المجلة والنصوص الأدبية شعرا ونثرا والبحوث العلمية التي خطتها أقلام العُمانيين أو خُطت عن عُمان تحتاج وقفة متأنية في دراسة مستقلة، وقد يكون التطرق إليها في هذا الفضاء المحدود سببا في عدم إيلاء الموضوع حقه.

كما اهتمت الصحف العربية الجزائرية بالتظاهرات العلمية والندوات التي تعدها سلطنة عُمان ويحضر فيها باحثون جزائريُّون، أو تلك التي تعدها في الجزائر ويحضر فيها باحثون وعلماء من السلطنة، وكان من أولى الملتقيات التي غطَّتها الصحف والمجلاَّت الجزائرية ملتقى "مازن بن غضوبة السعدي" الذي أعد في سلطنة عُمان سنة ١٩٩٠م ضمن سلسلة ندوات كانت تعدها وزارة التربية والتعليم والشباب بسلطنة عُمان تحت عنوان "من أعلامنا"؛ فقد نشرت جريدة "السلام" الجزائرية تغطية إعلامية مطولة بعنوان: "الصحابي الجليل مازن بن غضوبة (ض) في ندوة ثقافية"، والتغطية بقلم الدكتور محد صالح ناصر الذي شارك في الندوة وعاد إلى الجزائر لينشر التقرير وانطباعاته عن سلطنة عُمان في مقالين متتابعين جعلهما تحت "أوراق ثقافية من عُمان" (ناصر، جريدة السلام: ١٩٩٠/١٠/٢٧). تحدث في المقال الأول عن فعاليات الندوة وظروف تنظيمها ورعايتها، وقال في هذا الصدد: "لقد كانت الحفاوة بالغة، والعناية بالمشاركين في الندوة فائقة، والجو العلمي رائعًا، تنظيما ورعاية، وإقبالا مشجِّعا من طرف المسؤولين أو طلاَّب الجامعة والمعاهد الإسلامية" (ناصر، جريدة السلام: ١٩٩٠/١٠/٢٧)، ثم أنهى المقال بجملة من الملاحظات، يقول فيها: "كما لفت انتباهي عناية وسائل الإعلام المرئية والمسموعة بمتابعة الجلسات، وجعل القارئ العادي على دراية تامة بما يجري داخل قاعة المحاضرات، وهذا طيلة أيام الندوة على الرغم من تصادف الندوة مع الإعداد الفخم لحفلات الذكرى العشرين للعيد الوطني. وهذا في حدِّ ذاته يوضح العناية الفائقة بالتظاهرات الثقافية وبرجالاتها ووضعها في مكانة لا تقل عن الأحداث السياسية مهما كانت خطورتها" (ناصر، جريدة السلام: ١٩٩٠/١٠/٢٧). ومن الجميل أن هيئة تحرير الجريدة أدركت حين نشرت تقرير الدكتور محمد ناصر عن الندوة أهمية هذا التواصل العلمي والثقافي، وأهمية الحضور الصحفي والإعلامي في مثل هذه التظاهرات لتوطيد العلاقات الثقافية بين البلاد العربية فصدرت المقال بفقرة جاء فيها: "... وقد خصَّ "السلام" بعد عودته بهذه الأوراق ـ مشكورا ـ ننشرها تباعا، لعلها تكون نافذة تواصل ثقافي فكري من شأنه الكشف عن حلقات عظيمة في تاريخنا العربي الإسلامي" (ناصر، جريدة السلام: ١٩٩٠/١٠/٢٧)، وبالفعل كانت مشاركة الدكتور محمد صالح ناصر من جامعة الجزائر وزميله الدكتور محمد ناصر بوحجام من جامعة باتنة في هذه الندوة فاتحة عهد جديد في التواصل بين البلدين كان من بين مظاهره انتقال عدد من الدكاترة للتدريس في الجامعات والمعاهد العُمانية ودفع حركة التأليف والطباعة المشتركة بين البلدين وآثار إيجابية أخرى جليلة.

وكان لمشاركة سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي في المؤتمرات التي تعدها وزارة الشؤون الدينية والأوقاف في الجزائر، وكذا مجمع الفقه الإسلامي الدولي صدى واسعا ومهما في الصحافة الجزائرية، ولقد أشادت بأفكاره واجتهاداته المنضبطة في النوازل والمستجدات، وقد ثمنت جريدة الشروق اليومي مشاركة سماحة الشيخ في أشغال مؤتمر الفقه الإسلامي المنعقد بوهران الجزائرية في شهر سبتمبر ٢٠١٢ (الشروق اليومي: ٢٠١٢/٩/١٣)، وعلقت صحيفة أصوات الشمال عن هذه المشاركة: "... كان للشيخ الخليلي العديد من وجهات النظر والفتاوى الجديدة، التي قاربت الراهن الجديد، وقدَّمت الكثير من الحلول لأزمات الراهن العربي والإسلامي، وبالذات لفئات الشباب منه على وجه الخصوص" (بغداد، أصوات الشمال: ١٤٣٣/٩/١٦).

ولعل من طريف ما يسجل للحضور العُماني في الصحافة الجزائرية في مجال التظاهرات والأنشطة العلمية تغطية الصحف الجزائرية لمناقشة سفير سلطنة عُمان سعادة علي بن عبد الله العلوي لأطروحة الدكتوراه في جامعة الجزائر٣، والتي تمت بتاريخ ١٤٣٣/٠٨/٠٤هـ الموافق ٢٤ جوان ٢٠١٢، وسط حضور مكثف لأعضاء السلك الدبلوماسي الخليجي بالجزائر وجمع من الطلبة والأساتذة، فكان هذا الحدث العلمي مناسبة مهمَّة لكي تثني الصحف على

اهتمام أفراد السلك الدبلوماسي العُماني بالبحث العلمي وتطوير المهارات وترقية الكفاءات، كما نقلت صحيفة الشروق تعقيب لجنة المناقشة على جهد الباحث بقولها: "تقدَّمت اللجنة بالشكر للباحث علي بن عبد الله العلوي على الجهد المبذول في العمل الأكاديمي، وعلى العمل القيِّم الذي يُعد الأوَّل من نوعه في السلطنة، كما قيمت البحث وعدته قيمة علميَّة مُضافة للمكتبة العربية، وأوصت اللجنة التي منحت صاحب البحث علامة "مشرّف جدا"، بطباعة الأطروحة" (لكحل، الشروق اليومي: ٢٠١٢/٦/٢٥).

الحضور العُماني في الصحافة الجزائرية المعاصرة في نشاط السلك الدبلوماسي والرسمي العُماني:

يمكن للمتابع السريع للتغطية الصحفية الجزائرية لنشاط الممثلية الدبلوماسية العُمانية في الجزائر، أن يلحظ أن فترة السفير السابق (سعادة الدكتور علي بن عبد الله العلوي) كانت من أخصب فترات الحراك الثقافي لهذه الممثلية في الوقت الراهن، كما أن السنوات الخمس الأخيرة شهدت توارد اسم الوزير المسؤول عن الشؤون الخارجية في سلطنة عُمان (معالي يوسف بن علوي بن عبد الله) بكثرة في الصحف الجزائرية لما بذله من جهود وزيارات متكررة للجزائر فقد كان يدلي في كل واحدة منها بتصريحات لوسائل الإعلام المختلفة بما يؤكد متانة الروابط بين الجزائر وعُمان.

أجرت صحيفة الشروق الجزائرية لقاء مطولا مع سعادة سفير سلطنة عُمان السابق في الجزائر الدكتور علي بن عبد الله العلوي، وتناولت فيه مراسلة الصحيفة تجربة السلطنة في أول انتخابات تشريعية في تاريخها، الحكمة التي تجنبتها السلطنة ثورة شعبية فيما يعرف بالربيع العربي، إضافة إلى نجاحها في تحويل التنوع المذهبي الذي تعرفه السلطنة إلى تكامل حضاري، كما تناولت الشروق علاقة السلطنة بالجزائر والمشاريع المشتركة بين البلدين، ومما قاله سعادة السفير في إجابة عن سؤال العلاقات الثنائية بين البلدين وأفاقها المستقبلية: "علاقة سلطنة عُمان بالجزائر قديمة جدا وعريقة، ولها جذور تاريخية تعود إلى أكثر من ألف وثلاثمائة عام، أي منذ القرون الهجرية الأولى، فهناك تواصل حضاريٌّ وفكري قديم، وهناك مصالح اقتصاديَّة ورؤى سياسية مشتركة، وأرسى دعائم هذا التعاون كل من السلطان قابوس والسيد بوتفليقة، إذ أعطياها دفعة ديناميكية لكي تكون رائدة، مما أعطى لباقي المؤسسات المجتمعية دفعا للتعاون والاستجابة من الجوانب الأخرى، مثل البحث العلمي، والتعليم العالي، والدراسات المشتركة، إضافة إلى المشاريع الاقتصادية، فهناك عدة اتفاقيات موقعة بين البلدين..." (لكحل، الشروق اليومي: ٢٠١١/١٢/٠٤).

ولقد اهتمت ذات الصحيفة (الشروق) بتغطية زيارات الوزير المسؤول عن الشؤون الخارجية في سلطنة عُمان (يوسف بن علوي بن عبد الله) إلى الجزائر، ولعل أبرزها التي كان لها الأثر الطيب في نفوس الجزائريين هي رحلته السياحية التي كانت برفقة وزير الخارجية الجزائري مراد مدلسي إلى ولاية غرداية ووادي ميزاب في الجنوب الجزائري سنة ٢٠١٣م، على هامش زيارته الرسمية للجزائر للمشاركة في أعمال اللجنة المشتركة الجزائرية العُمانية، وتتبعت الصحيفة المناطق والمعالم التي زارها الوزير العُماني، وأثر تلك الزيارة في مسألة التبادل السياحي والثقافي بين البلدين، أما في زيارته الثانية إلى الجزائر سنة ٢٠١٥م فكانت غرداية الولاية الجنوبية تعاني توترات وأحداث دامية طائفية، ما أعطى للبعض مبررا لتفسير زيارة الوزير المسؤول عن الشؤون الخارجية العُماني بأنها محاولة للتدخل في المسألة؛ ولأجل ذلك تحركت الدبلوماسية الجزائرية لتنفي أي علاقة لهذه الزيارة أو للسلطنة في الأحداث التي عرفتها الولاية، وصرَّح وزير الخارجية الجزائري (رمطان لعمامرة) للصحفيين بقوله: "لو درستم كيفية تطور الحوكمة في عُمان لوجدتم ان السلطنة حرسصة على معاملة كافة المواطنين على قدم المساواة وهو نفس الشيء في الجزائر، وعلى مبدأ معالجة الأمورفي ظل القانون وتجاوز الصعوبات"، ومن ذات المنبر قال وزير خارجية عُمان: "إنَّ بلاده تعتز بالعلاقة التي تجمع السلطنة والأشقاء في الجزائر وفي غرداية، ومتيقنون من أن الدولة الجزائرية تعمل على تطوير الفعاليات في كل المناطق من الجزائر، ولا سيما غرداية... سوف تتمكن الجزائر من تسوية جميع المشكلات" (سكية، الشروق اليومي: ٢٠١٥/٧/٣٠ وسيدمو، جريدة الخبر: ٢٠١٥/٧/٢٩)، وبهذا الجواب الدبلوماسي الحكيم طويت المسألة وصححت النظرة إلى الزيارة التي بقيت في حدودها الرسمية الطبيعية، وسجلت نقطة أخرى في سجل الحراك الدبلوماسي العُماني في الصحافة الجزائرية، وفي الرصيد الثري لأحد أبرز رجالاتها في العالم العربي حنكة وخبرة (يوسف بن علوي بن عبد الله)، وخطوة أخرى إلى الأمام في سبيل تفعيل العلاقات السياسية والثقافية بين البلدين.

وفي نفس التوجه الذي عرف عن الدبلوماسية العُمانية، والذي تتفق فيه مع نظيرتها الجزائرية، خاصة في مسألة عدم التدخل في شؤون الدول، والتشديد على مسألة الحلول السلمية والحوار في فك النزاعات، والحفاظ على العلاقات الطيبة مع دول الجوار وكافة دول العالم، وقد رأينا صورة منه في زيارات معالي يوسف بن علوي بن عبد الله تندرج كذلك التغطيات الصحفية الجزائرية لكافة زيارات (سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي) المفتي العام لسلطنة عُمان، فإن المتتبع لجميع الحوارات التي أجرتها معه الصحف الجزائرية، في مشاركاته في الندوات والمؤتمرات الفقهية والفكرية التي تعقد في الجزائر، وفي زياراته الودية والإخوانية الدعوية لبعض ربوع الجزائر شمالاً وجنوباً، فكان في كل ما سجلناه من حوارات مكتوبة أو مسموعة أو مرئية، وفي كل الدروس والمواعظ والكلمات التوجيهية التي كان سماحته يلقيها على الخاصة والعامة يركز على وحدة الصف، والوحدة ونبذ الفراق، ولعل رسالته إلى المسلحين المغرر بهم في قضايا الإرهاب الأعمى في الجزائر تعد من بين أهم الوثائق التاريخية التي تؤكد مساندة الشعب العُماني لأخيه الجزائري في أزمته في العشرية السوداء، وتؤكد موقف سماحة الشيخ الواضح والصريح تجاه الحركات المتشددة التي تمارس الإرهاب باسم الجهاد، وبالاستناد إلى مرجعيات دينية تصدر فتاوى خطيرة على الأمة، فقد نشرت "الشروق اليومي" سنة ٢٠٠٩م رسالة سماحة الشيخ إلى زعيم التنظيم الإرهابي المسمى "الجماعة السلفية للدعوة والقتال" ودعاه للتوبة عن جرائمه، وكان عنوان المقال "الخليلي يدعو

أتباع درودكال إلى التوبة" (نائلة، الشروق اليومي: ٢٠٠٩/٥/١٦)، وفي عنوان فرعي نقرأ: "لا جهاد في الجزائر والمسلّحون أخطأوا الطريق"، وتركت الرسالة التي نشرتها الصحيفة أثراً طيباً في نفوس الجزائريين، كما نشرت الصحيفة ترجمة وافية لحياة هذا العالم الجليل وآثاره. وبعد سنة تقريبا من إرسال هذه الرسالة يزور سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي الجزائر في شهر مارس ٢٠١٠م، وقد اهتمت وسائل الإعلام في الجزائر خصوصاً بهذه الزيارة وكتبت الصحف عن سماحة الشيخ، وعن جهوده في توحيد المسلمين ما يليق بمقامه الكريم، ولعلي أبيح لنفسي التوقف عند الزيارة وإعطائها فسحة من التأمل والدرس، لما استجليناه منها من فوائد وعظات.

قضى الشيخ عدَّة أيام في عاصمة الجزائر وحضر فعاليات أقامتها وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ثم زار وادي ميزاب لحضور فعاليات اليومين الدراسيين العلميين حول "الشيخ أبي إسحاق إبراهيم اطفيش الجزائري العالم العامل"، بمدينة بني يزجن، يومي ٩و١٠ ربيع الثاني ١٤٣١هـ، ٢٥و٢٦ مارس ٢٠١٠م (الخليلي: موقع أنترنت المنهاج)، وزار مدينة القرارة التي وصلها يوم الأحد ١١ ربيع الثاني ١٤٣١هـواستقبل فيها استقبالا حافلاً في المبنى الجديد لمعهد الحياة، وداخلية الحياة (الذي افتُتح بمهرجان الوفاء سنة ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م)، ومما قاله في ذلك اليوم: "...زيارتنا لجزائر الجهاد والكفاح والنضال، وميزاب العلم والمعرفة، وقرارة الدين، تثمر في نفوسنا ثمارا يانعة، وستظل هذه الثمار نجنيها طوال حياتنا إن شاء الله، لقد تكرَّرت زيارتي إلى هذا القطر مرَّات ومرَّات، وفي كلِّ مرة أستجلي من هذا القطر العظيم، ومن هذه الناحية، ما أستجليه مما يُذكي في نفسي مشاعر الإحساس بالوحدة الإيمانيَّة التي تربط ما بين المؤمنين ولا تفرِّق بينهم، تجمع شتاتهم، وتؤلِّف بين قلوبهم، وترأب صدعهم، وتستلُّ السخائم والأحقاد من صدورهم؛ لأنَّ هذا هو شان المؤمنين، (...) فكلُّ رجائي أن تستمرَّ هذه الوَحدة، وأن تستمرَّ هذه المشاعر الرابطة بين الجميع، حتى لا يكون هنالك نشازٌ، ولا يكون هنالك خلاف، فإن الوَحدة رحمة والفرقة عذاب، والوَحدة قوة والفرقة ضعف" (الخليلي: يوتيوب).

مما تقدم يتضح لنا أن زيارات العُمانين للجزائر سواء في الإطار الدبلوماسي الرسمي أو في الإطار الودي الأخوي، كانت تحدث تفاعلا واضحا في الصحف الجزائرية، وتترك صدى طيبا في نفوس القراء، وكان الحضور العُماني في كل المادة الصحفية التي تتبعناها حضورا مرحبا به لما يتسم به من حكمة وحرص على الوحدة والمحبة والسلام.

الحضور العُماني في الصحافة الجزائرية المعاصرة في شخصية جلالة السلطان قابوس بن سعيد:

قد يستغرب هذا العنصر ضمن دراسة تهتم بالحضور العُماني في الصحافة الجزائرية، ولكن المتعمق في هذا الحضور يجد أن هناك صورة كاريزمية متألقة لسلطنة عُمان في الصحف الجزائرية لو بحثنا في عمق تكوين هذه الصورة لوجدنا فيها تأثير شخصية جلالة السلطان قابوس بن سعيد حاضرا حضورا قويا. ومطالعة سريعة في بعض عناوين الصحف الجزائرية في هذا الشأن توضح لنا حقيقة ما نقول، ومن بين العناوين نقرأ:

١- "مُصلحٌ على العرش في عُمان"، لخالد عمر بن ققه (٢٠٠٨م).

٢- "في العيد الوطني الأربعين لسلطنة عُمان: متى يقتفي العرب آثار الحضارة والنهضة؟" القسم الدولي للشروق (٢٠١٠م).

٣- "سلطنة عُمان؛ بلاد من صخور وشعب من حرير"، محمد يعقوبي (٢٠١٠م).

٤- "سلطنة عُمان بعيون جزائرية"، سفيان.ع (٢٠١٢م)

٥- "السلطان قابوس يتعهد للعُمانيين بالمزيد من النهضة في عيدهم الثامن عشر"، التحرير، (٢٠١٢م)، (ننبه إلى الخطأ في عنوان المقال، حيث ذكر "عيدهم الثامن عشر" والصواب هو "الثاني والأربعين")

٦- "سلطان عُمان يعفو عن جميع النشطاء المسجونين"، النهار، (٢٠١٣).

٧- "السلطان قابوس دفع المحادثات السرية بين واشنطن وإيران"، النهار، (٢٠١٣).

٨- "سلطنة عُمان... شعب يتنفس الحضارة"، نشيدة قوادري، (٢٠١٤م).

٩- "ظهور علني لسلطان عُمان بعد عودته من رحلة علاج طويلة" (٢٠١٥م).

هذه عينة من المقالات الصحفية الجزائرية التي تناولت من قريب أو من بعيد شخصية جلالة السلطان قابوس، وكل هذه المقالات وغيرها تتفق في أمر واحد، وهو أنَّ السلطان قابوس شخصية من طراز نادر، وأنه غير وجه عُمان ورفع ذكرها بين الأمم، وأن حنكته السياسية وحبه لوطنه وإخلاصه لشعبه كون عند رعيته مثالا للاقتداء والتأسِّي، وبالتالي أعطى صورة ناصعة للإنسان العُماني بين مواطني الدول العربية وسمعة طيبة في دول العالم كلها.

لا يسع المجال لتتبع صورة عُمان في شخصية قائدها السلطان قابوس في الصحافة الجزائرية بشكل عميق في هذه الدراسة المحدودة. وإن كان الموضوع يغري بإجراء دراسة مستقلة معمَّقة تعطي الموضوع حقه، ولكن أكتفي هنا بأن أنقل فقرتين من مراسلين جزائريين تشكلت لديهما صورة عن السلطان قابوس بعد زيارتهما للسلطنة فنقلاها إلى القارئ الجزائري بكل أمانة واعتزاز. يقول مراسل جريدة (الشروق) الذي زار السلطنة بمناسبة احتفالها بعيدها الوطني الأربعين، تحت عنوان: "إنَّ الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن": "يرفع العُمانيُّون ويبجِّلون سلطانهم "قابوس بن سعيد" كما لا يفعل أيُّ شعب في العالم مع زعيمه أو ملكه أو رئيسه، ويرون فيه صاحب الفضل في إطلاق حضارتهم ورعايتها وحمايتها من الفتن التي تعصف بالكثير من شعوب العالم، فهو رأس الدولة ورئيسُها والسلطة النهائيَّة لها وقائد قواتها المسلحة، وفي شخصه اجتمعت صفاتُ القيادة التي أهَّلته لأن يحقِّق وثبة حضاريَّة لبلاده شدَّت انتباه العالم (...)، وقد استكمل السلطان اهتمامه بتعاليم الدين الحنيف وتاريخ بلاده وحضارتها، فاكتملت بذلك معالم شخصيته التي جمعت بين الأصالة والمعاصرة، ما مكَّنه من أن يجمع شتات شعبه ويُجنِّده في هذا البناء الحضاري، ليتأكد الأثر الوارد عن سيدنا عثمان بن عفان (س) "إن الله يزعُ بالسلطان ما لا

يزع بالقرآن""(مراسل الشروق اليومي: ٢٠١٠/١١/٢٦).
يقول محمد يعقوبي مراسل الشروق الجزائرية: "ما شدَّني أيضًا في السلطان قابوس أنَّه رجل أفعال لا أقوال، فالسلطان لا يخطُب إلاَّ مرَّة كلَّ سنة لبضع دقائق، يحدِّد فيها معالم المستقبل بناءً على الإنجازات المحقَّقة، وهو بالضبط ما شهدناه وسمعناه منه في مدينة "صلالة"، سمعنا كلماتٍ مُقتضبات هادئة وهادفة وهادية، وأقوى ما شدَّني فيها قوله: "نحن لا نتدخَّل في شؤون غيرنا، ولن نسمح لغيرنا بالتدخل في شؤوننا"، وانصرف بعدها السلطانُ إلى عمله تاركًا أبناءه يكرِّمون ضيوفهم.. تذكرتُ بعدها أنَّ جلَّ رؤسائنا وملوكنا في العالم العربي يُصدِّعون رؤوسنا في خطاباتهم بالساعات، لكنهم في النهاية لا يقولون ولا يفعلون شيئًا..!" (يعقوبي، الشروق اليومي: ٢٠١٠/١٠/١٦). هذه هي الصورة التي ارتسمت عن عُمان وشعبها لدى القارئ الجزائري، والفضل يعود في جزء منه إلى شخصية جلالة السلطان وجهده وإخلاصه في سبيل إسعاد شعبه والرقي بوطنه وأمته.

أخيرًا: خلاصات وملاحظات عن صورة سلطنة عُمان في الصحافة الجزائرية (في حوالي قرن من الزمن):

في ختام هذه الدراسة التي تتبعنا فيها مظاهر الحضور العُماني في الصحافة الجزائرية منذ العقد الثاني من القرن العشرين وحتى وقتنا الراهن، أي في فترة تناهز قرنا من الزمن، وأمكن التعمق في عشرات المقالات التي قرأناها وحللناها، والنصوص الشعرية التي أبدعها العُمانيون، أو تلك التي نظمها جزائريون عن أهل عُمان، أمكن أن نخرج ببعض الملاحظات العامة عن صورة للإنسان العُماني في الصحافة الجزائرية، وإذا كانت الصحافة أو الإعلام يمثل سلطة حقيقة تصنع الرأي العام وتوجهه، فإنَّ هذه الصحافة تكون حتما قد كونت في الرأي العام الجزائري صورة خاصة عن الإنسان العُماني، هي صورة تراكمية لم تتجسد في بضع سنوات بل لعدة عقود من الزمن، كما أنها صورة مركبة من عدة جزئيات تبين حقيقة ما يشعر به الجزائري تجاه أخيه العُماني، بعيدًا عن بعض التصنيفات النمطية غير الواقعية التي تسوق لها بعض الأطراف في شمال إفريقيا عن صورة الإنسان العربي عموما والخليجي بوجه خاص، التي تنظر إليه من منظور ضيق يركِّز على "الثروة النفطية"، دون الذهاب بعيدا في إنجازات البشر هناك سواء على مستوى التجارب السياسية أو الثقافية أو العمراني، فإنَّ هذه الصورة التي نستعرض بعض ملامحها ليست صورة نمطية ولا من نسج خيالنا ولا من باب المجاملة، بل تم استقاؤها من عشرات النصوص والوثائق الصحفية التي بنينا عليها هذه الدراسة، ولذلك سنلتزم بأن نشفع كل عنصر مما يلي بشهادات خطتها أنامل الصحفيِّين الجزائريين لتستقر في مخيال القارئ الجزائري وإدراكه:

- العُماني متمسِّك بدينه معتزٌّ بعروبته:

إنَّ أول ما تسجله الصحافة الجزائرية في صورة الإنسان العُماني هو تمسكه العميق بمقومات هويته، فعُمان ذلك البلد الذي دعا له الرسول باليُمن والبركة، ما يزال شعبه محافظا على دينه الإسلامي بتعدد مدارسه الفقهية، ومعتزًا بجذوره العربية الأصيلة، لم تزعزعه الأهواء ولا تيارات العولمة الكونية التي قضت على خصوصيات كثير من الثقافات والمجتمعات، وقد عبرَّ شيخ الصحافة الجزائرية أبو اليقظان عن تقديره لتمسك شعب عُمان بهويته في الأعداد الأولى من صحيفته "وادي ميزاب"، فأرسل قصيدة بعنوان "تحية ميزاب لعُمان"، يقول فيها (أبو اليقظان، ١٩٨٩، ج١: ٨٧-٩٠):

عظُمت بكم آمالُكم فزكتْ بكُم ... أعمالُكم في السرِّ والإعلانِ
سُقيا لكم ولدوحة استقلالكم ... في روضة الإسلام والإيمان

وهذا شاعر الثورة الجزائرية وناظم سلامها الوطني "مفدي زكرياء" يرسل تحيته إلى جلالة السلطان تيمور بن فيصل وإلى أهل عُمان ويبثه فيها إحساسه وتقديره لتمسُّكه بدينه ومقومات هويَّته، يقول في قصيدة بعنوان "تِه يَا عُمان بنصر الله" (مفدي، ١٩٨٩: ١٨٠-١٨٣):

بني "عُمان" ألا لله روحكمُ ... قد حُزتُمُ الأكرمَينِ السيفَ والكُتُبا!
لو المكارمُ في الدنيا بأجمعِها ... كانت كتاباً، لكنتم فوقَه لقبا!
قد عزَّزَ اللهُ دينَ المصطفى بكُمُ ... إذ خصَّكم عن جميع الخلق وانتخبا
فما ارتضيتُم سوى إعلاء مِلَّتِهِ ... ولا رأيتُم سوى نيلِ العُلا أرَبَا
فرفرفت فوقَكُم رايتُه ولقد ... أرضيتُموه، فأرضاكم ولا عَجَبَا

- الحرية ومقارعة الاستعمار:

إن تاريخ سلطنة عُمان مليء بصور البطولات ومقارعة جحافل المستعمرين قبل الإسلام وبعده، فشعب عُمان يتنفس الحرية ويأبى الضيم والظلم والاستعباد، ولعل ذلك من بركة دعاء الرسول لهم لما سأله الصحابي العُماني الجليل مازن بن غضوبة السعدي الدعاء لأهل عُمان، فكان مما دعا به الرسول "اللهم لاتُسلِّط عليهم عدوًّا من غيرهم"، فقال عليه السلام: "يا مازن قل آمين، فإنَّ آمين يُستجاب عنده الدعاء"، قال مازن: "قلت:آمين"" (السالمي، ١٩٣١، ج١: ٩)، فكان أهل عُمان، وهم في أسوأ حالاتهم فرقة وشقاقا يرمون الضغائن والأحقاد جانبا ويتحدون في وجه الغزاة والمعتدين، وهذا ما شعر به وأثبته زعيم المجاهدين الليبيين الشيخ سليمان باشا الباروني، الذي قارع الاحتلال الإيطالي وأدرك أساليب القتال والدفاع عن الأوطان، فأرسل إلى مجلة المنهاج الجزائرية (سنة ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م) مقالا يطمئن فيه العرب والمسلمين بأن لا خوف على عُمان من الغزاة والمعتدين، يقول فيه: «إنَّ في مملكة عُمان من ظفار إلى قطر ما لا يقل عن نصف مليونٍ من رجال مسلَّحين "بالموزر" العثماني، والسلاح الألماني، والإنكليزي، ولديهم من الذخائر ما يحصيه عدد، ولكل مسلَّح جملٌ (مهري) لركوبه وحمل زاده، فإذا ضرب مدفع واحد (علامة الاجتماع للحرب) في جهة حضر من في تلك المنطقة من الرجال في مدَّة لا تتجاوز أربع ساعات بكل ما يلزمهم للحرب، بحيث إذا كلِّفوا بالمسير من هناك إلى جهة من الجهات لا يحتاجون إلى الرجوع إلى بيوتهم قطُّ، فهم كجندٍ نظامي موزَّع في بيوته إلى وقت الحاجة، فهل يُعقل إخضاعُ أجنبيٌّ مهما كان لأمَّةٍ هذه أوصافها، وقد حافظت على استقلالها التام من عهد العبَّاسيين إلى اليوم؟! (إلاَّ أن يشاء الله ذلك، فلله خرق العوائد). كتبتُ هذا ليقرأه على صفحات مجلَّتكم الإسلامية المحترمة رجال الإسلام الذين يهمُّهم

أمر إخوانهم المسلمين أينما كانوا فليطمئنوا ويعلموا أن لا خوف على عُمان الإسلامية المستقلة بإذن الله" (الباروني، مجلة المنهاج، ١٣٤٤هـ: ٢٣).

وحدة الشعب العُماني مع قيادته السياسية والدينية:

إن المتأمل في تاريخ عُمان الطويل بما يعتري فتراته من القوة والضعف، يدرك أن المجتمع العُماني مجتمع معتز بمرجعيته الدينية والروحية، وأنَّ قوة هذا الوطن واستقراره وازدهاره يتحقق حين تتحد قوى الشعب وتتفق القيادات السياسة مع المرجعيات الدينية والروحية، وأن أي خلل في التوازن بين هذين الطرفين (السياسي والديني) يتسبب في تشرذم المجتمع وبروز النعرات القبلية والطائفية، فالجميع في سلطنة عُمان يشعر بضرورة احترام الولاء السياسي والديني وأن لا تعارض ولا تصادم بين الولائين، والقيادة الحكيمة هي التي تحافظ على هذا التوازن في إطار القانون واحترام الشرعية التي يتفق عليها العُمانيون، ولقد رأينا أن أعلام الصحافة الجزائرية منذ مطلع العقد الثاني من القرن العشرين كانوا حريصين على تأكيد وحدة الشعب العُماني وضرورة إزالة كل ما يعكر الصفو بين السلطان تيمور بين فيصل ومن جاء بعده، وبين المرجعيات الدينية والروحية للمجتمع العُماني، ومن أجل هذا كرس الباروني حياته التي قضى جزءا منها في عُمان، ولقد حققت عُمان هذا بالفعل عندما تولى السلطان قابوس بن سعيد زمام السلطة، فسار بحكمة وأناة وصبر، فاجتمعت له أفئدة العُمانيين وقلوبهم، ورفع من شأن العلماء والدعاة والمصلحين، فالتحم الشعب بقيادته الروحية والسياسية في شخص السلطان قابوس التحاما يصعب اختراقه من أي معتدٍ داخلي أو أجنبي. هذا ما لاحظه مراسل الشروق الجزائرية حينما زار سلطنة عُمان، وعاد ليصرح للجزائريين بقوله: "السلطان قابوس هو ذلك الأب الروحي لوحدة العُمانيين ونمائهم، وهو أيضا هيبةُ الدولة وسيفُها المسلولُ في وجه المتجاوزين أو المخالفين للقوانين على قلّتهم، فالرجلُ لا يتردَّد في إنصاف المظلومين مهما كان حجمُ الظالم (...)، كيف لا وهم يرونه ينتصر للفقير ويفرض سلطة القانون حتى على كبار القوم.. عدتُ بذهني إلى عالمنا العربي وأنا أستمع إلى تلك القصص القادمة من الزمن الجميل، فلم أر سوى طوفانًا من الفساد ينخر جسد الأمَّة ويحيل شعوبنا العربيَّة والإسلامية على الفقر والنزاعات والانتحارات، وتراءت بين ناظريَّ قوارب الموت التي تبتلع سنويًّا مئات الشباب الباحث عن الحياة..." (يعقوبي، الشروق اليومي: ٢٠١٠/١٠/١٦).

الأخوَّة الإسلامية والتعايش المذهبي:

ليس هذا مما يحتاج إلى تأكيد أو بيان، فقد عرفت سلطنة عُمان بتعايش أهلها بشتى مذاهبهم تحت مظلة الإسلام الواسعة، ولقد تأكد هذا في العصر الحديث الذي كثرت فيه الفتن والحروب الطائفية والمذهبية، التي غذى أوارها فكر متطرف إقصائي تكفيري في كثير من الدول العربية والإسلامية، فعُمان وإن كان يغلب عليها أتباع الفكر الإباضي فإنَّ هذا الفكر ذاته في أصوله ومنطلقاته وتاريخه وسير أئمته عبر القرون، يقتضي احترام الآخر، والتعايش في ظل الأخوة الإسلامية وما تكفله من حقوق، إن تعايش الإباضية مع غيرهم من المذاهب في عُمان ليس شعارات جوفاء ولا خطبا منبرية رنانة، ولا سطورًا تخط في الكتب والمؤلفات وتبقى رهينة المكتبات، بل التعايش والاعتدال أمر ملموس ومشهود لكل من يزور سلطنة عُمان لا ينكره إلاَّ جاهل أو جاحد. ولعلَّ من بين أسرار هذا التوفيق ما بذله سماحة مفتي سلطنة عُمان الشيخ أحمد بن حمد بن سليمان الخليلي من جهد وعناء وحكمة وصبر ليرسّخ في العُمانيين هذه الخلَّة الحميدة التي يحسدهم عليها كثير من الشعوب، وهذا ما أقرَّه سفيان.ع، الصحفيُّ الجزائري، المالكي المذهب، الذي كتب عن سماحة الشيخ ما يلي تحت فصل عنوانه: "التعايش المذهبي إسمنت النهضة العُمانية": "الذي يجلس إلى مفتي سلطنة عُمان الشيخ أحمد الخليلي يكتشف سرَّ التعايش المذهبيِّ الموجود في البلد، بالرغم من التنوُّع الكبير في المذاهب، فأنت لا تستطيع أن تعرف مذهب عُمانيٍّ من شكلِه أو كلامه أو سلوكه اليوميّ، ذلك أنَّ الشعور العُمانيَّ العامَّ توافق على نبذ حتَّى النقاش المذهبي، فلا تكاد تعرف السنيَّ من الإباضيِّ من الشيعيِّ، وليس مُهمًّا أن تعرف ذلك طالما هؤلاء جميعًا يقتسمون العيش في وطنٍ واحدٍ ويتساوَون في الحقوق والواجبات، وحتَّى مفتي السلطنة يُجسد التوافق المذهبيَّ بكلِّ أبعاده بل يُفتي من يستفتيه بحسبِ مذهبِه بعيدًا عن التطرُّف الذي يجنح إليه بعض المتشدِّدين في باقي الدول العربية والذين قدَّموا الإسلام في صورة مشوَّهة لا ترقى إلى سماحته وحبِّه الخير للبشرية" (سفيان.ع، الشروق اليومي: ٢٠١٢/٧/٢٨).

وهذا ما نقله مراسل آخر إلى الشعب الجزائري بعد زيارته لعُمان، آملا أن تسير باقي الشعوب العربية حذو هذا النموذج العالي فقال تحت فصل بعنوان "مذاهب في قلب واحد!": "ما نعرفه نحن الجزائريين عن سلطنة عُمان لا يزيد عن كونها مركزًا مهمًّا للمسلمين من معتنقي المذهب الإباضي، وهم مثالٌ حيٌّ للتديُّن والوطنيَّة عندهم وعندنا في الجزائر، لكنَّ الذي وجدتُه في زيارتي إلى السلطنة أنَّها أنموذج مذهل للتعايش المذهبيِّ، فلا تكاد تحضُر أو تسمع أيَّ نقاشٍ مذهبي يمكن أن يعكِّر على المسلمين تديُّنهم ووقارهم وسكينتهم، رغم وجود المذهب الشيعيِّ إلى جانب المذهب الشافعيِّ إلى جانب طبعًا المذهب الإباضي الذي تنتمي إليه العائلة الحاكمة، وبالفعل استطاع السلطان قابوس أن يشمل ويشيِّد أنموذج المسلم الواعي الذي يرتفع إلى نفائس الأمور، وينشغل بما يهمُّه ويفيده في دينه ودنياه، ولا ينزل أبدًا إلى أساليب التفرقة التي غرسها فينا الصهاينة، فقد صار المسلم منَّا يسأل أخاه المسلم عن مذهبه وعرقه قبل أيِّ شيء آخر.. ورغم كوني من المهتمِّين بتاريخ الملل والنحل والأديان والمذاهب، إلاَّ أنَّ الخجل يتلبَّسني كلمَّا أردتُ أن أسأل عُمانيًّا عن مذهبه، لترفُّعهم الشديد عن مثل هذه الأشياء التي تثير فضول الصحافيِّين والمؤرِّخين والباحثين، وهو الشعور الذي احتاحني وأنا ألتقي فضيلة مفتي السلطنة الذي سبق له أن زار الجزائر عدَّة مرَّات.. وقد تمنَّيت أن تنهل باقي بلداننا الغارقة أحيانا في الصراعات المذهبيَّة والطائفيَّة من هذه المدرسة

حتَّى تنشغل شعوبُنا بما يجمعها وليس ما يفرقها" (يعقوبي، الشروق اليومي: ٢٠١٠/١٠/١٦).

الاستثمار في الإنسان قبل البُنيان:

ممَّا سجلته الصحافة الجزائرية في عوامل نهضة عُمان الحديثة هو أنَّ التركيز فيها كان على الإنسان قبل العمران،وهذا ما بنى عليه السلطان قابوس بن سعيد نهضته الإصلاحية سنة ١٩٧٠م، ولا يزال العُمانيون يردِّدون في تمعُّن وإعجابٍ نصَّ أوَّل بيان ألقاه بعد تولِّيه زمام الحكم، ذلك البيان التاريخي الأوَّل الذي وجهه جلالة السلطان إلى شعبه, وأذاعته جميع وكالات الإعلام في العالم «نص البيان المفعم بالصدق والإخلاص والثقة بالمواطنين لحدٍّ جعله يخلُب ألبابهم في الحال، وراح العُمانيون في جميع البلدان التي حملهم إليها المصير يقرأون ويكرِّرون قراءة سطور البيان: "إني أعدكم أنَّ أوَّل ما أفرضه على نفسي أن أبدأ بأسرع ما يمكن لأجعل الحكومة عصريَّة, وأوَّل هدفي أن أزيل الأوامر غير الضرورية التي ترزحون تحت وطأتها، وسأعمل بأسرع ما يمكن لتعيشوا سعداء لمستقبل أفضل, وعلى كلِّ واحد منكم المساعدة في هذا الواجب، كان وطنُنا في الماضي ذا شهرةٍ وقوَّة، وإن عملنا باتحاد وتعاون فسنعيد ماضينا مرَّة أخرى، وستكون لنا المكانة المرموقة في العالم العربي"، إلى أن قال: "إنَّ الحكومة والشعب كالجسد الواحد، إذا لم يقم عضوٌ منه بواجبه اختلت بقية الأجزاء في ذلك الجسد، إنَّنا نأمل أن نكون عند حسن ظنكم كما نأمل كذلك وفي نفس الوقت أن تكونوا عند حسن ظننا" (بليخانوف، ٢٠٠٤: ٢٠١-٢١٩).

وبالفعل كان الشعب عند حسن ظن قائده به، وكان القائد عند حسن ظن شعبه به، فتحركت الأبدان عندما تفتحت الأذهان، وأيقنت بضرورة تطوير الإنسان الذي سيحافظ على المكتسبات ويعلي البنيان، فتغير وجه سلطنة عُمان سريعا في بضع عقود من بلد بدائي الحياة بدون بنية تحتية، وبمدارس تحسب في أصابع اليد الواحدة، إلى بلد متطور بمئات المدارس والمستشفيات والكليات والمعاهد والطرقات، مع الحفاظ على البيئة ونظافة المحيط في تناغم جميل بين الطبيعة والإنسان، ما حدا بالصحفي الجزائري أن يعلق على هذا التناغم بقوله: "... لم تكن السلطنة سوى سلسلة من البيوت القديمة والمتباعدة تحاصرها تلك الجبال الموحشة، ليس فيها سوى ثلاث مدارس وبضعة كتاتيب ووسائل نقل بدائية مثلها مثل باقي الدول العربية التي كانت لتوِّها تنفض غبار الاستعمار وتحاول أن تلم شعثها وتجمع شتاتها بأيدي أبنائها.. أمَّا اليوم فالسلطنة وبفضل ذلك التحدِّي الذي رفعه العُمانيون بقيادة السلطان قابوس شعلةٌ من الحضارة والنظافة والتطوُّر، خاصة أنَّ السلطنة هي ثاني أكبر بلدان الخليج العربي بعد السعودية من حيث المساحة والسكان..." (يعقوبي، الشروق اليومي: ٢٠١٠/١٠/١٦).

سلطنة عُمان خلاصة التراث والحضارة:

إن سلطنة عُمان هي خلاصة حضارة ضاربة في أعماق التاريخ، فالشعب العُماني كما عبَّر أحد الصحفيين الجزائريين حديثا هو "شعب يتنفس الحضارة!" فإذا كانت بعض دول الخليج بزغت إلى هذا الوجود بعد تدخل قوى الاستعمار وتقسيم بلاد العرب فأضحت اليوم تتغنى بتاريخ وأمجاد لا تجاوز في مداها الزمني قرنا من الزمن، فإن تاريخ عُمان قبل الإسلام وبعده مسجل على سطور التاريخ بماء الذهب، ودور عُمان في نشر الإسلام غربا في دول الساحل الشرقي الأفريقي، أو شرقا في شبه القارة الهندية، وصولا إلى بلاد الصين، وما تاريخها في البحر والبر سوى شواهد ناصعة عن حضارة عريقة اتحد فيها الفكر باليقين والعقيدة والكفاح، ليتحول في المكان والزمان إلى مادة ما زال الدارسون يستكشفون بانبهار معالمها، ولقد شعرت عُمان ما بعد النهضة بأهمية التراث فأسست له وزارة التراث والثقافة التي أخرجت بجهود مضنية عظيمة مسابقة الزمن ما يمكن إخراجه من التراث المخطوط إلى عالم الطبع، فأثرت المكتبة العربية بمئات العناوين الجليلة، ولقد روى لنا شيخنا الناصر بن محمد المرموري الجزائري (و: ١ رجب ١٣٤٥هـ /٠٧ جانفي ١٩٢٧م ت: ١٢ جمادى الثانية ١٤٣٢هـ/ ١٥ ماي ٢٠١١م) كيف أن جلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم استقبله للحديث في شأن نشر الفكر العُماني وتراثه الأصيل وإبرازها إلى نور المطابع، فتتزوَّد به المكتبات في الجامعات والجمعيات في بلاد المغرب والمشرق، وفي ذلك إنصافٌ لمؤلفيها وإعلاء لشأن عُمان وحضارتها، فأجابه جلالة السلطان بما نصه حرفيا: "... نعم، وقد خصَّصنا وزارةً لهذا، وزارة التراث، وعليها الوزير فيصل بن علي، (...) أتعرف فيصل؟ قلت: فيصل صديقي قبل أن يكون وزيرًا، قال لي: اجلس مع فيصل واقترح عليه أي الكتب تريدون، فنحن أمددناه بالإمكانيات للطبع وإن أراد المزيد فنحن نزيده"، يقول الشيخ الناصر: "وفعلا جلستُ مع فيصل بن علي، واقترحتُ عليه أن يبدأ بالأمهات، ولقد قُطعت خطواتٍ جبارة بارك الله فيهم... وكان للسلطان الفضل في هذا وفي إقامة "ندوة الفقه الإسلامي" التي استدعي إليها علماء الأمَّة الإسلامية من هنا وهناك، وأهديت لهم كتب كثيرة... فالحمد لله الذي حقَّق كلامي" (المرموري، ١٩٩٧: قرص مدمج صوت وصورة).

والزائر لسلطنة عُمان اليوم يلمس مظاهر التراث والحضارة العريقة مرئية ومقروءة، فهي مرئية في الحفاظ على التراث المعماري المتمثل في المساجد والحارات القديمة والحصون والقلاع والمكتبات العامة والخاصة، ومرئية في حفاظ العُماني على سمته وهندامه ولباسه الإسلامي العريق والسلطان قابوس قدوة شعبه في كل ذلك، كما يجد هذا التراث مقروءا في الأفكار والأخلاق والسمات النفسية للإنسان العُماني في متحدِّية رياح العولمة العاتية التي سلبت كثير من الشعوب خصوصياتها، ومحت معالم ثقافتها وأصالتها.

لقد نقلت أقلام الصحفيين الجزائريين إلى قرائهم ما لمسوه من تمسك العُمانيين بحضارتهم وأصالتهم، فهذا أحد أعمدة الإعلام في الجزائر يكتب مقالا بعنوان: "قصة الخنجر الذي أرَّخ للسلطنة لباسها الرسمي"، ومما جاء فيه: "إنَّ الزائر لسلطنة عُمان أول ما يقع بصره ويشد خياله، لباسهم الأبيض النقي، فالرجل العُماني يكبر في عين كل من يراه على أنه محافظ على تقاليد بلاده وأصالتها، وما يزيد من جمال لباسه هو "الخنجر" الذي يربط وسط العباءة.

وتعد صناعة الخنجر العُماني من أهم الصناعات الحرفية وأبرزها، التي ما زالت تشكل تواجدا مميزا في كل المناسبات، وهو لوحة إبداع متكاملة ومتجانسة، يتجلى الجمال في كل نقطة منها، وتعد عملية صناعة الخنجر العُماني مهمة طويلة وشاقة، إذ نجد في ذلك الإبداع ما تعشقه الأنامل خلال الحقبة التاريخية التي تحمل الكثير من التفاصيل الدقيقة" (فضيل، الشروق اليومي: ٢٠١٢/٥/٦).

هذا جزء بسيط مما أمكن للصحافة الجزائرية نقله من تراث سلطنة عُمان وحضارتها للقارئ الجزائري، ولعل أقلام الصحافة في سلطنة عُمان والملحقات الثقافية العُمانية في سفارات العالم ينتظرها جهد كبير وعملٌ مظنٍ لإبراز تراث بلادهم والإشهار له، فعُمان تستحق من أبنائها أكثر من هذا، ولا عجب في تعلقهم بها وإخلاصهم إليها، فقد تعلق بها الأباعد قبل الأقارب، وأختم بأبيات نظمها الشاعر الجزائري محمد صالح ناصر عن عُمان، فقال (ناصر، ٢٠٠٩: ٢٨-٢٩):

لو كنتُ فارقتُ الديارَ مهاجرًا ... ما اخترتُ غيرَكِ للشدائِدِ والمِحَنْ
أو كنتُ في عُمري عشقتُ سِوى الوطنْ ... لاخترتُ من أرض العقيدَةِ لي سَكَنْ
أو كنتُ من زمني خَرجتُ إلى زَمنْ ... لَلَبستُ من جَبَل الشُّموخِ لِيَ الكَفَنْ
اللهُ يا أرضًا هَويتُ تُرَابَهَا ... أَدَبٌ مُصَفًّى كالنَّسيم سَرَى فَحَنْ
يَسْري بنَفسِي كالضِّياءِ يَلُفُّني ... وَيَرِفُّ بي في الأفْقِ طَيْرًا في فَنَنْ
عَبَقُ الأصالةِ في مُحَيَّا وَجهِهَا ... نُورٌ من النَّهرِ السَّخِيِّ طَوَى الفِتَنْ
عَينَاكِ مِثلُ النَّسرِ في أُفقِ العُلاَ ... مَا اشْتَاقَ يَومًا في الحياةِ سِوَى القَنَنْ
وحديثُها روضٌ من القرآن أُترُ ... جٌّ تضوَّعَ بالمثاني والسنَنْ
وتألَّقَ يسمُو على فِتَنِ التعَصُّـ ... ـبِ يستَقِي مِن حَوضِ أحمَدَ مَا افتَتَنْ

المراجع:

اطفيش، إبراهيم أبو إسحاق، ١٣٤٤هـ، " دخول الإسلام في السودان (تاريخه) ٠١"، مجلة " المنهاج" ، ج١ م١، عدد غرة محرم ١٣٤٤هـ.

اطفيش، إبراهيم أبو إسحاق، ١٣٤٤هـ، " دخول الإسلام في السودان (تاريخه) ٠٢"، مجلة " المنهاج" ، ج٢ م١، غرة صفر ١٣٤٤هـ.

بغداد، محمد، ١٤٣٣هـ، "هل ينقذ لقاء وهران المرجعية الفقهية الجزائرية؟"، " أصوات الشمال" ، نشر في الموقع بتاريخ: الاثنين ١٦ شوال ١٤٣٣هـ.

بليخانوف، سرجي، ٢٠٠٤، "مصلح على العرش.. قابوس بن سعيد سلطان عُمان" ، تر/ خيري الضامن، نشر دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، مصر.

بوجملين، وردة، ٢٠١٥م، "خطَّاط جزائري يتوَّج بجائزة السلطان قابوس للثقافة والفنون والآداب" ، جريدة "الشروق اليومي"، الجزائر، عدد: ١٣ نوفمبر ٢٠١٥.

جمعية التراث، (٢٠١٠/٣/٢٦) فعاليات اليومين الدراسيين حول الشيخ أبي إسحاق إبراهيم اطفيش، بالصوت والصورة والنص، ومن ضمنها خطاب سماحة الشيخ، في هذا الرابط: (http://www.elminhaj.org/ab_moultaka.php)

حمدي، إبراهيم بن عيسى أبو اليقظان، ١٩٨٩م، "ديوان أبي اليقظان"، نشر جمعية التراث، العطف، غرداية، الجزائر.

حمدي، إبراهيم بن عيسى أبو اليقظان، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م، "سليمان الباروني باشا في أطوار حياته"، المطبعة العربية، الجزائر.

حيدوسي، غازي، ١٩٩٧، "الجزائر التحرير الناقص"، دار الطليعة، بيروت، لبنان.

الخليلي، أحمد بن حمد، (٢٠١١/٦/١٣) فعاليات زيارة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي إلى القرارة، وكلمته التي ألقاها، في التسجيل المرئي المرفوع في هذا الرابط: (https://www.youtube.com/watch?v=8rOtFBNg4Z8)

زهية.م، ٢٠١٦م، "سعيدة بنت خاطر تعارض قباني، وصديقي يرثي آيت أحمد"، جريدة "الشروق اليومي"، الجزائر، عدد: ٢٦ جانفي ٢٠١٦م.

السالمي، نورالدين، عبد الله بن حميد أبو محمد، ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م، "تحفةالأعيان بسيرةأهل عُمان"، تح/ أبوإسحاق إبراهيم اطفيش الجزائري الميزابي، مطبعةالشباب،القاهرة.

سفيان. ع، ٢٠١٢م، "سلطنة عُمان، بعيون جزائرية"، جريدة "الشروق اليومي"، عدد: ٢٨ جويلية ٢٠١٢م.

سكية، عبد السلام، ٢٠١٥م، "دعا شباب المنطقة إلى احترام القانون، وبرَّأ سلطنة عُمان؛ لعمامرة: دولة شقيقة متورطة في إثارة الفتنة في غرداية"، جريدة "الشروق اليومي"، عدد: ٣٠ جويلية ٢٠١٥.

سيدمو، محمد، ٢٠١٥م، "علاقات متميزة بين السلطنة وأتباع المذهب الإباضي، وزير خارجية عُمان في الجزائر"، جريدة "الخبر"، عدد: ٢٩ جويلية ٢٠١٥م.

الشروق، (هيئة التحرير)، ٢٠١٥م، "جائزة السلطان قابوس للثقافة والفنون والأدب العربي تعلن من قسنطينة"، جريدة "الشروق اليومي"، الجزائر، عدد: ١٣ سبتمبر ٢٠١٥.

الشروق، (القسم الدولي)، ٢٠١٠م، "في العيد الوطني الأربعين لسلطنة عُمان: متى يقتفي العرب آثار الحضارة والنهضة؟"، جريدة الشروق اليومي، عدد: ٢٦ نوفمبر ٢٠١٠م.

آل الشيخ، زكريا بن سليمان (مفدي زكرياء)، ١٩٢٦م، "ته يا عُمان بنصر الله". جريدة "وداي ميزاب"، ع:١٢، ١٧ ديسمبر ١٩٢٦م.

عُمان.

آل الشيخ، زكريا بن سليمان (مفدي زكرياء)، ٢٠٠٩م، "أمجادنا تتكلم وقصائد أخرى"، تحرير مصطفى بن بكير حمودة، موفم للنشر بالتعاون مع مؤسسة مفدي زكرياء، الجزائر.

عزي، عبد الرحمان وآخرون، ١٩٩٢، "عالم الاتصال"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

الغذامي، عبد الله ٢٠٠٥، "النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان.

٢٢فضيل، ياسين، ٢٠١٢م، "قصة الخنجر الذي أرَّخ للسلطنة لباسها الرسمي"، جريدة "الشروق اليومي"، عدد: ٠٦ ماي ٢٠١٢م.

قاسم، محمد محمد، ١٩٩٩، "المدخل إلى مناهج البحث العلمي"، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

الكندي، محسن بن حمود، ٢٠٠٩م، "الصحافة العُمانية المهاجرة وشخصياتها، الشيخ هاشل بن راشد المسكري نموذجا"، دار رياض الريس، للكتب والنشر، بيروت، لبنان.

لكحل، فريدة، ٢٠١٢م، "السفير العُماني يتحصَّل على الدكتوراه بدرجة مشرِّف جدًّا"، جريدة "الشروق اليومي"، عدد: الاثنين ٢٥ جوان ٢٠١٢م.

لكحل، فريدة، ٢٠١١م، "علي بن عبد الله العلوي سفير سلطنة عُمان بالجزائر للشروق: سياسة التقارب بين المذاهب جنَّبت سلطنة عُمان صراعات طائفية"، جريدة "الشروق اليومي"، عدد: ٠٤ ديسمبر ٢٠١١م.

المرموري، الناصر بن محمد: ١٩٩٧م، (٢٠١١/١٠/١٦) "سلسلة التاريخ الإباضي الأصيل" ـ حلقات مسجلة بالصوت والصورة من قبل جمعية الرسالة في شهر جانفي ١٩٩٧، قرص (DVD) ١ + ٢، تسجيلات الحياة القرارة، غرداية. ويمكن الاطلاع على قصة لقاء الشيخ بالسلطان كاملة في محاضرة بعنوان: (نشأة الحركة الإباضية وأصولها ـ الشيخ الناصر المرموري) بموقع اليوتيوب التالي: (https://www.youtube.com/watch?v=al8Bc47QCtI).

المرموري، الناصر بن محمد: (٢٠١١/١٠/٦) (نشأة الحرة الإباضية وأصولها ـ الشيخ الناصر المرموري) تسجيل مرفوع بموقع اليوتيوب التالي: (https://www.youtube.com/watch?v=al8Bc47QCtI).

المعمرية، سعاد بنت سعيد بن سيف، ٢٠١٥م، "مشاعر عائدة إلى أرض الوطن"، (سلسلة أعلاق نفيسة: ٣٤) تح/ سلطان بن مبارك الشيباني، نشر موقع بصيرة الإلكتروني وذاكرة عُمان، سلطنة

منير.ر، ٢٠١٢م، "انطلاق أشغال مؤتمر مجمَّع الفقه الإسلامي بوهران"، جريدة "الشروق اليومي"، عدد: الخميس ١٣ سبتمبر ٢٠١٢م.

٣١

نائلة. ب، ٢٠٠٩م، "الشروق تنشر رسالته للمسلحين والمغرر بهم؛ الشيخ الخليلي يدعو أتباع "درودكال" إلى التوبة"، جريدة "الشروق اليومي"، عدد: ١٣ ماي ٢٠٠٩م.

ناصر، محمد صالح، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، "الخافق الصادق" (ديوان)، نشر دار الريَّام، المحمدية، الجزائر.

ناصر، محمد صالح، ١٩٩٠م، "الصحابي الجليل مازن بن غضوبة (س) في ندوة ثقافية"، ضمن سلسلة مقالات بعنوان: "أوراق ثقافية من عُمان" جريدة "السلام"، الجزائرية، عدد: الثلاثاء ٢٧ نوفمبر ١٩٩٠م.

ناصر، محمد صالح، ١٩٨٩م، "مفدي زكريا شاعر الثورة والنضال (دراسة ونصوص)"، نشر جمعية التراث، العطف، غرداية، الجزائر.

وكالة أنباء الشعر، ٢٠٠٧م، "الأسبوع الثقافي العُماني في الجزائر يختتم فعالياته بمشاركة شعراء شظايا"، موقع إلكتروني: (http://www.alapn.com/ar/save.php?typ=1&newsid=1281)

يعقوبي، محمد، ٢٠١٠م، "سلطنة عُمان؛ بلاد من صخور وشعب من حرير!"، جريدة الشروق اليومي، عدد: ١٦ أكتوبر ٢٠١٠م.